أماه رسالة

من فتاة إلى أمها

إعداد

القسم العلمي بدار ابن خزيمة

مصدر هذه المادة :







بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

أما بعد:

أماه.. يا من استرعاك الله على بيتنا أمًا وزوجة، وشرفك بشرف الأمومة السامي الذي تفيض بمراعاة متطلباته السعادة في أرجاء البيت.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، والأمير راع، والرجل راع على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**» [رواه البخاري ومسلم].

فالرعاية المنوطة بك – يا أماه – تكمن في العناية بتربيتي وإخواني تربية صالحة تستنير في منهاجها بما يرضاه الله جل وعلا من الأقوال والأعمال، ومن معالم تلك التربية:

التربية على الإيمان: فالإيمان يا أماه هو رأس مال الفتاة المؤمنة.. به تعرف ربها.. وتراقبه، وتعبده، وبه تنال الخير في الدنيا والآخرة.. وكل فتاة نشأت من دون التربية عليه، فعاقبة أمرها – إن لم تحطها رعاية الله – إلى الحيرة والتخبط والضياع، ولذلك جعل الله مفتاح السعادة والصلاح في الدنيا والآخرة هو الإيمان بالله فقال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

[النحل: ٩٧].

التربية على طاعة الله: لاسيما التربية على الصلاة والحث عليها فإنها ركن من أركان الإسلام، وهي فصل ما بين المؤمنة والكفر، من حافظ عليها حفظه الله، ومن ضيعها ضاع وخسر، ولذلك وصف الله جل وعلا من تركها بالكفر فقال رسول الله ﷺ: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**»، كما توعد من تهاون في أدائها بالغي والويل فقال تعالى: ﴿**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا**﴾ [مريم: ٥٩]، وقال سبحانه: ﴿**فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ**﴾ [الماعون: ٤، ٥]، أي: غافلون ولاهون عن أدائها في وقتها.

أماه! فأين أنت من هذه التربية؟!

أين أنت من حثنا على الصلاة.. وزجرنا على تركها.. أو التهاون في أدائها؟!

أجلس الساعات منشغلة عن الصلاة.. لكن لا أجد من يحثني.. ولا من يحضني على هذا الخير.. ولو أنني نسيت وجبة طعامي أو تخلفت عن غداء أو عشاء؛ لسمعت منك النصائح.. وربما زجرتني على ذلك خوفًا على صحتي، فكيف وروحي بل وجسمي أيضًا أحوج ما يكون إلى الصلاة التي هي طمأنينة القلوب، ودواء الصدور.. وبها يحفظ الله المصلي من الآفات والهلكات والفواحش.. ﴿**إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ**﴾

[العنكبوت: ٤٥].

التربية على العفة والحياء: فإن الحياء خير ما يتجمل به النساء، وهو خلق الإسلام، ومن اتصف به كان الخير إليه أسرع، فالحياء لا يأتي إلا بخير، ومن ثم فإن الأم التي تربي ابنتها على الحياء فإنما تدلها على أوسع أبواب الخير، وأنفع أسباب الملامة.

ومن صور التربية على العفة والحياء.. التربية على مكارم الأخلاق كبر الوالدين وصلة الرحم، واجتناب الاختلاط بالأجانب، والحرص على لباس الحجاب، وتعويدها عليه من الصغر، وتعليمها أدب الحديث والخروج والقرار في البيت، وما ميزها الله به من الأنوثة، التي تستوجب التميز عن الرجل في بعض الأحوال دون التأثر بالدعوات المغرضة التي تسحق القيم والعفة والحياء بالدعوة إلى مساواة الرجل بالمرأة دون اعتراف بالفوارق التي ذكرها الله بينهما.

ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «المرأة يجب أن تصان وتحفظ بما لا يجب مثله في الرجل، ولهذا خصت بالاحتجاب وترك إبداء الزينة، وترك التبرج فيجب في حقها الاستتار باللباس والبيوت ما لا يجب في الرجل؛ لأن ظهورها للرجال سبب الفتنة والرجال قوامون على النساء».

[مجموع الفتاوى ١٥/٢٩٧]

عاطفة الأمومة.. لا تعوض!

عاطفة الأم لا يمكن أن تعوض، ويستحيل أن يقوم مقامها أي جو عاطفي آخر، وإذا كان لحليب الأم وهيأة الرضاع سر كـــامن من أسرار الأمومة، فإن عاطفتها أيضًا من الأسرار التي أودعهـــا الله في فطرة البشر.

ولهذا تخطئ الأم التي تتجاهل حاجـــة أبنائهـــا أو بناهـــا إلى عاطفتها.. ودفئها.. وبعض الأمهـــات يتشـــاغلن بالكماليـــات، ويفضلن التفرغ للأعمال على التفرغ لتربية الأطفال، رغم عـــدم حاجتهن إلى تلك الأعمال..

وهذا الأمر له تأثير مباشر على نشأة أبنائهن وعلى ســـلوكهن في المستقبل.. بل وعلى تكوينهن النفسي والعقلي أيضًا.

وقد قام البروفيسور «وين دينس» الحائز على شهادة الدكتوراة في جامعة كلارك، والذي يعتبر من ألمع أساتذة علـــم الـــنفس في الولايات المتحدة بجولة علمية زار خلالها لبنان والولايات المتحدة، وانكلترا، وهولندا، وألمانيا، واليونان، وإيطاليا، والمجر، وتـــبين لـــه مدى الفروق الهائلة في مستوى الذكاء لدى الأطفال من بيئـــة إلى أخرى، وأثبتت دراساته أن الذكاء ينخفض لدى الطفل إن كـــان يعيش مع عشرة أطفال، وتشرف على تربيتهم مربية واحدة، إلى ما يزيد عن ٤٠% من نسبة الذكاء لدى غيرهم من الأطفال الـــذين ينشؤون في جو عائلي» [الأخت المسلمة/ للجوهري ص١١٨].

ليس اليتـــيم مـــن انتـــهى أبـــواه مـــن
هـــــم الحيـــــاة وخلفـــــاه ذلـــــيلاً
إن اليتـــيم هـــو الـــذي تلقـــى لـــه

أمـــا تخلـــت أو أبًـــا مشـــغولاً

وفي كثير من البيوت تلعب الخادمات دور المربيات.. بـل دور الأمهات.. فتجدهن يباشـرن – عوضًـا عـن الأم – إرضـاع الأطفال.. وتربيتهم.. وتـوجيههم في وقـت تنشـغل فيـه الأم بانشغالات ثانوية.. وربما تكميلية لا ترقى لأن تكـون مسـوغًا لانشغال الأم عن تربية أبنائها.

وقليلة هي البيوت التي تحظى بالخادمات الملتزمان.. وحتى لـو حظيت بذلك.. فلن تعوض الأم من دفئها وحليبها.. وعاطفتـها.. فعاطفة الأم.. لا تعوض.

مخالفات تربوية

أماه.. أحيانًا يكون لمخالفات الأمهات في التربية تـأثير علـى سلوك بناقمن لكن في كثير من الأحيان يكون لتلك المخالفات تأثير خطير على عفافهن بل وأعراضهم.

فمنذ طفولتي.. ومنذ فتحت عيني على الدنيا.. وجدت بيتنـا تؤزه الشياطين بالأغاني الماجنة.. والقنـوات الفضـائية المـدمرة للخلق.. بل وللإيمان والعقيدة.. نظل معظم الليـل نتنقـل بـين المحطات.. والمسلسلات والأفلام.. فإذا أشرقت شمس الصباح دوى صوت الغناء في ربوع البيت ينفث سمه في أرجائه!

لم أسمعك يومًا تعترضين على إدماننا علـى تلـك الأغـاني والمحطات.. ولم أحظ يومًا بذلك.. بل كان مشـاركتك لنـا في الغالب حافز قوي جعل من تلك الأعمال أمرًا لا محظور فيه..

ولم أستفق.. إلا بعد وقت طويل.. وبعد أن وجدت نفسي على حافة الدمار.. تساءلت بصدق في لحظات ساكنة أين العطب؟ وما الذي يدفعني إلى أن أفقد حيائي.. وأتجرأ بهذا الشكل على المعاصي.. وأرى عفافي مهددًا في كل لحظة؟ لماذا لست ملتزمة بالدين كفلانة.. وفلانة! من الصالحات القانتات! لماذا أشعر بالضيق ولا أتذوق طعم السعادة؟! ولماذا يتوب الممثلات.. والمغنيات والفنانات.. ويعدن إلى الله، ويعلن أن ما كن فيه ضلال وخطأ.. بينما أظل أنا أتجرع سموم ضلالهن الذي تبن منه من الأفلام والمسلسلات؟!!

كل تلك التساؤلات.. دفعتني إلى وقفة صادقة مع نفسي تبينت منها الخلل! إنه التربية يا أماه!

فلم تكن فطرتي لتتلوث بتلك المخالفات لولا أني نشأت عليها كما قال رسول الله ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطر فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه**».

فعودة بنا يا أماه إلى حياة الفضيلة.. ولنستبدل الغناء بذكر الله.. والقنوات الهابطة بالأشرطة النافعة.

بداية التبرج!

لقد تربيت على حبك، والتفاني في محاكاتك في كل الأمور صغيرها وكبيرها، فالحسن عندي تعلمينه وتقولينه..

ومن ثم فقد استحسنت ما أنت عليه من العادة في اللباس.. وقلدتك فيها منذ الصغر.. لكنني وبعد أن ترعرعت ونشأت..

واطلعت وقرأت.. وجدت أن لباسي هو تبرك وسفور، قد حرمه الله جل وعلا، وجعل أهله هم أهل النار.

لقد أيقنت أن التبرج بدعة دخيلة على مجتمعنا.. وعاداتنا.. وأصولنا.. وديننا.. فهو في بيتنا دخيلة تسلل على حين غفلة.. وفي لحظة ضعف ليجد له مكانًا في عقول تناست دينها.. وما أوجب الله عليها من الأمور في لباسها.

فالله جل وعلا قد فرض الحجاب على المؤمنات.. وفقهاء الإسلام قد فقهوا فرضيته وأجمعوا على ذلك.. وعلموا من ذلك تحريم التبرج وأنه من كبائر الإثم..

قال تعالى في بيان تحريمه: ﴿ **وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى** ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وقال ﷺ: «**صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**» [رواه مسلم].

قال الذهبي رحمه الله: قيل: هو أن تلبس المرأة ثوبًا رقيقًا يصف لون بدنها، ومعنى مائلات قيل: مائلات يمشين متبخترات مميلات لأكتافهن..

ثم قال: ومن الأفعال التي تلعن عليها المرأة: إظهار الزينة والذهب، واللؤلؤ من تحت النقاب، وتطييبها بالمسك والعنبر والطيب

إذا خرجت، ولبسها الصياغات والأزر والحرير والأقبية القصار مع تطويل الثوب وتوسعة الأكمام وتطويلها إلى غير ذلك إذا خرجت، وكل ذلك من التبرج الذي يمقته الله، ويمقـــت فاعلـــه في الـــدنيا والآخرة، وهذه الأفعال التي قد غلبت على أكثر النساء قال عنهن النبي ﷺ: «**اطلعت على النار فرأيت أكثر أهلها النساء**»، وقـــال ﷺ: «**ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النســـاء**» [رواه البخاري ومسلم].

فأين أنت يا أماه من هذا الوعيد الذي توعد الله به أهل التبرج في الدنيا والآخرة، وكيف يغيب عنك ما للتبرج من خطورة تهـــدد عفاف بناتك بل وبيتك أجمعين.

أماه! وتحت تأثير الموضة وتداعياتها.. وتأثير فتن هذا الزمان نجد بعض الأمهات يحرصن على اقتحام بناتهن في خط الموضة والأزياء.. وهذا بالطبع يؤدي بهن إلى إلباسهن حللاً مريبة تخالف عاداتنـــا.. وتمثل بداية التبرج للصغيرات.

ولقد تفطن لهذا العلامة بكر أبو زيد فسطره في كتابه الفاضل: «حراسة الفضيلة» تحت عنوان وجوب حفظ الأولاد من البدايات المضلة، وذكر من ذلك: التربية على الإيمان والعقيدة والصـــلاة، ثم تطرق إلى وجوب حفظ البنات من التبرج والاختلاط فقال:

- **تقديم باقات الزهور**: هذه من بدايات الســـفور والتـــبرج والحسور، ومن بدايات نزع الحياء، وتمزيق الغيرة، وهي تغـــرس في نفس الطفلة هذه البدايات، وتسري في بنات جنسها كسريان النار

في الهشيم، فاتقوا الله عباد الله في ذراريكم.

- **بداية الترجل في اللباس**: إلباس الصبية المميزة، الأزياء المحرمة على البالغة، كالألبسة الضيقة أو الشفافة، أو التي لا تستر جميع بدنها، كالقصير منها، أو ما فيه تصاوير أو صلبان أو تشبه بلباس الرجال أو الكافرات...».

ومع أن التبرج محرم شرعًا فهو يؤدي بأهله في الغالب إلى الوقوف في محاذير شرعية بل وعقدية خطيرة.

فقلما تجد متبرجة في هذا العصر إلا وهي ملتزمة بقواعده من التشبه بالكافرات والخضوع التام لتيار الموضة والأزياء...» وذلك أن معظم ما تبثه كثير من الفضائيات يظهر المجتمعات الغربية الكافرة بوجهها الجميل فقط، وجه القوة والنظام والإنتاج والإبداع.. لكن أين ذلك التصوير الحقيقي لحياتهم التي يعيشونها الآن، من إحساس الغرب بالخواء الروحي المرير والشقاء، والحيرة والاضطراب، والتفكك الأسري، والانحلال الخلقي...».

[القنوات الفضائية خالد بن عبد الرحمن الشايع]

ومن هنا فإن التبرج يوقع في الغالب صاحبته في التشبه بالكفار وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «**من تشبه بقوم فهو منهم**».

[رواه أبو داود]

وتأملي – أماه – في كثير من الفتيات كيف شغلن ببلية التشبه في اللباس ثم في العادات ثم في السلوك حتى أصبح آباؤهن يحملن همًا عظيمًا في ردهن إلى الحياء، وهم من كانوا السبب في الوهلة الأولى بتمكينهم الفتاة من التبرج، ولو أنهم قطعوا دابر الشر من أصله لما طاشت ببناهم الأهواء في عالم التقليد حتى وقعن في أخلاق ذميمة تنتهك به سمعة البيوت.

***

خاتمة

أمي الغالية.. لم يكن ما ذكرته آنفًا من الشكاوى جحودًا لفضلك علي.. و لم يكن ذلك ليثنيني عن برك والإحسان إليك والتفاني في حبك.. فأنت أحب الناس إلى وأولاهم جميعًا بحسن صحبتي إلى يوم الدين.

لكن ما كنت أود قوله أنني لم أكن فقط في حاجة إلى عنايتك بصحتي وأكلي وشربي وهندامي.. وإنما حاجتي كانت أمس إلى عنايتك بإيماني وأخلاقي وآدابي.. وأن تكون عينًا ساهرة علي في تلك العناية؛ لتكون صمام أمان في المستقبل.

فالبيوت لا تصلح أحوالها، ولا يستقيم صرح السعادة فيها إلا إذا تضافرت الجهود.. فقام كل فرد فيها بما له وما عليه.. لكن مهما كانت مسؤولية الأب في التربية.. فيبقى دور الأم أهم؛ لكونها أقرب الأبناء عاطفة وصلة، وأكثر ملازمة لهم، ولذلك فإن إنشغالها عن الأبناء.. وعدم قرارها في البيت منهي عنه شرعًا.

فقرار المرأة في عرين وظيفتها الحياتية: «البيت» يكسبها الوقت والشعور بأداء وظيفتها المتعددة الجوانب في البيت: زوجة وأمًا وراعية لبيت زوجها، ووفاء بحقوقه من سكن إليها، وتهيئة مطعم ومشرب وملبس، ومربية جيل» [حراسة الفضيلة ص٩١].

فالأم في البيت هي المربية الناصحة لابنتها.. وهي المطلعة على ظاهر أحوالها في البيت.. ومهما يكن حرص الأب وتفانيه في تربية ابنته فلن يتأتى له ذلك ما لم تكن الأم راعية لابنتها في البيت وقدوة

لها في السلوك والأخلاق واللباس والشخصية المسلمة عمومًا.

والأم إذا رعت بنتها حق الرعاية.. وأنشأتها صالحة مستقيمة فإنما تزرع بذرًا ثماره لا تضاهى.. وحسناته لا تتناهى..

الأم مدرسة إذا أعددتها

أعددت شعبًا طيب الأعراق

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

***